مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (24) العدد (17)2002
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Human Sciences Series Vol (24) No (17) 2002

# ظاهرة الإمالة عند العرب القدماء

**الدكتور محمد إسماعيل بصل***
**صلاح الدين حسين****

**( قبل للنشر في 2002/6/30)**

## □ الملخّص □

نتناول في بحثنا ثلاثة جوانب رئيسة ؛ أولها "تعريف الإمالة": و هي في اللغة مشتقة من الميل وهي مصدر أملت الشيء إمالة إذا عدلت به إلى غير الجهة التي هو فيها ، من مال الشيء يميل ميلا إذا انحرف عن القصد .وفي الاصطلاح :أن تميل الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة ، أو هي نطق الألف بين الألف والياء،والفتحة كالكسرة.

وأما الجانب الثاني فقد أفردناه لدراسة الإمالة من النواحي الصرفية والنحوية والدلالية ، وبينّا أنها من أصوات اللغة المستحسنة التي تهدف إلى الخفة ، وهي إلى ذلك ظاهرة لغوية تتسم بالشيوع والتداخل إضافة إلى كونها موجودة في اللهجات القديمة والمعاصرة واللغة الفصيحة . كما بينا العلاقة التي تربط الإمالة بعلم النحو ورأينا أن هناك علاقة وثيقة بين علم النحو وعلم الأصوات والتأثيرات متبادلة بحيث تؤدي التغيرات الصوتية إلى تغيرات نحوية والعوامل النحوية تؤدي إلى تغيرات صوتية .

وفي الجانب الثالث حاولنا استخراج قواعد الإمالة عند مختلف القبائل العربية ودرسنا المنهج الذي اتبعه القدماء في وضع هذه القواعد ، ولقد خرجنا بأنهم اعتمدوا في معالجة ظاهرة الإمالة على النظرية والمثال والتعليل .

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، الجمهورية العربية السورية.
** طالب ماجستير في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، الجمهورية العربية السورية.

مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (24) العدد (17)2002
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Human Sciences Series Vol (24) No (17) 2002

# Inclination Phenomenon of Ancient Arabs

**Dr. Mouhammad Bassal***

**Salah Al Deen Hossain****

**(Accepted 30/6/2002)**

## □ ABSTRACT □

Inclination in language is derived from incline, which is the infinitive that means to give something little turning. If you change something to a direction different from that in what was before, it diviates from the main purpose: A becomes y, The upper tone becomes lower, I.. E. the pronunciation of A becomes between A and Y so the tone changes.

Inclination is one of the most favorable language sounds. The target intended is lessening. It is a lingual phenomenon characterized by spreading and interlacing. Morphologically Inclination is found in all ancient and contemporary dialects and even in contemporary standard language. Butt the link between grammar and sounds is very strong. The effects are exchanged in a way that vowels changes lead to grammatical changes, and grammatical factors lead to changes in sounds.

Therefore inclination is a linguistic sound carries expressive value when it takes place.

We tried to come out with special rules of inclination among different Arabic tribes and studied the course which they followed in setting there rules , we found that they depended in dealing with the phenomenon of inclination on theory , example and reasons .

***Assistant professor at Arabic Department, Faculty of Arts and Human- Tishreen University –Latakia – Syria.**
****Master Student- Arabic Department, Faculty of Arts and Human- Tishreen University – latakia – Syria**

## المقدمة

إن من يمعن النظر في تراثنا القديم ؛ سيجد نفسه أمام كمّ هائل من الظواهر اللغوية التي منها ما درس ، ومنها ما أدلى القدماء بآرائهم حولها ولكنها لم تلق العناية من المحدثين .

و(الإمالة) من الظواهر المهمة التي تناولها القدماء من خلال دراساتهم النحوية والصرفية دون أن يدرسوها دراسة مستقلّة حيث لم يفصلوا بين مستويات الدرس اللغوي[1]، الأمر الذي أدّى إلى تطابق منهجهم في دراسة الأصوات مع منهجهم النحوي

فسيبويه تناول (الإمالة) في كتابه بوصفها ظاهرة لها علاقة بالنحو ، وعلى خطاه سار معظم الباحثين ؛ حتى نكاد نجزم بأنهم لم يأتوا بجديد فيما يتعلّق بموضوع (الإمالة) .

ولقد ظلّ علم الأصوات عامة أسير المنهج النحوي إلى أن جاء العالم العربي ابن جني الذي تناول اللغة من مبدأ جديد وعرّفها بأنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم[2]؛ وهو مع ذلك لم يخرج خروجاً تامّاً عن سيبويه وإنما جدّد وأضاف مما يعني أن الدراسة الصوتيّة تطورت عنده .

وأمّا المحدثون فقد تناولوا الإمالة باقتضاب ضمن كتبهم اللغوية ؛ حيث تبدو دراساتهم عنها إشارات خاطفة وسريعة ، بعضها يردّ د كلام القدماء والبعض الآخر لم يستطع تجاوز بعض المشكلات المتعلقة بها كدراسة أسبابها وموانعها وجمع قواعدها .

وإننا من خلال رجوعنا إلى كتب القدماء والمحدثين وجدنا الكثير الذي يمكن أن يُقال في ظاهرة (الإمالة) ؛ ولا سيّما أن الدراسات عنها قد أوضحت بعض الثغرات التي سنعمل في هذا البحث على معالجتها ، آملين أن نقدّم بذلك خدمة للغتنا الفصيحة التي من المفيد رصد أصواتها رصداً دقيقاً لما في ذلك من أهميّة في متابعة أحوالها وتعزيز ثباتها واستمرارها .

## أهميّة البحث وأهدافه :

تأتي أهمية البحث من أهمية الظاهرة التي هي موضوع البحث . و(الإمالة) من الظواهر المهمة التي تناولناها مدفوعين بأسباب ومسوّغات كثيرة منها الحضور المتميّز والانتشار الواسع والفاعلية، ولعلّ أهم د ليل على كونها ظاهرة حيّة ومستمرّة هو وجودها في اللهجات القديمة والمعاصرة وانتقالها إلى اللغة الفصيحة المعاصرة،كما أنها تكشف عن جوانب كثيرة من جوانب التطور اللغوي ولا سيّما جانب الخفّة[3]،أي الميل باللغة نحو السهولة في النطق.والقدماء باعتبارهم وضعوا (الإمالة) بين موضوعات علم النحو، فإن ذلك سيساعدنا على كشف علاقة النحو بالأصوات ونظرة علمائنا إلى تلك العلاقة .

**وأمّا أهداف البحث فهي كالتالي :**

أ- التعريف بالإمالة لغة واصطلاحاً باعتبارها صوتاً لغويّاً و ظاهرة لغوية.

ب- دراسة الإمالة من مختلف جوانب الدرس اللغوي صوتيّاً وصرفيّاً ونحويّاً.

ج- دراسة منهج القدماء في التقعيد لظاهرة الإمالة .

## طريقة البحث :

لقد اعتمدنا في تناولنا لموضوع (الإمالة) على **المنهج الوصفي التحليلي** ، حيث آثرنا أن نصف الظاهرة أولاً ثمّ ننتقل إلى التحليل والاستنتاج . ولقد ابتعدنا عن الوصف التقليدي ما أمكن ، وحاولنا الكشف عن جوانب غير مطروقة من قبل ، وقسّمنا البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

ففي التمهيد **دلّلنا على وجود(الإمالة) في اللغات الساميّة ؛ وتبيّن لنا أنها من أصوات العلة في كلّ تلك اللغات التي تُعد اللغة العربية واحدة منها .**

وأمّا **الفصل الأول** فقد تناولنا فيه تعريف **الإمالة لغة واصطلاحاً** . وأول ما بدأنا به التعريف اللغوي حيث استخرجنا تعريفات الميل من كتب المعاجم ، ومن هذه التعريفات : الإمالة مشتقة من الميل[4] ، "و الميل في اللغة العدول إلى الشيء والإقبال عليه "[5] ، " وإذا ميّل بين هذا وهذا فهو شاكّ"[6]، و"الإمالة مصدر أملت الشيء إمالة إذا عدلت

به إلى غير الجهة التي هو فيها ، من مال الشيء يميل ميلاًَ إذا انحرف عن القصد"[7].

اختلقت أساليب القدماء وتعابيرهم في تعريف الإمالة لغة. ففي حين لم يعرّفها سيبويه ، وإنما يُفهم من كلامه عنها أنها تقريب الألف من الكسرة[8]، فإننا نجد لها تعريفات اصطلاحيّة في كتب المعاجم ، ومن ذلك "ألف الإمالة هي التي تجدها بين الألف والياء "[9]. أو هي:" نطق الألف بين الألف والياء ، والفتحة كالكسرة[10] . فمن الواضح أن التعريفات السابقة اعتبرت (الإمالة) صوتاً بين صوتين ، أو حركة بين حركتين ، وهذا يتطابق مع قول ابن جني : "أما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث وهي الفتحة والضمة والكسرة ، ومحصولها على الحقيقة ست وذلك أن بين كل حركتين حركة "[11].

ولقد تناولنا الإمالة باعتبارها **ظاهرة لغوية** ، وعرّفنا الظاهرة بأنها خروج عن مألوف أو تغيّر في نظام معتاد ، ورأينا أن للظاهرة مقوّمات منها **الشيوع والتداخل والفاعلية** ، ولقد قصدنا **بالشيوع الانتشار**، ووجدنا أن الإمالة منتشرة انتشاراً واسعاً في مختلف البيئات اللغوية العربية القديمة والمعاصرة والفصيحة وغير الفصيحة ، وهي إلى ذلك مؤثرة وفاعلة وتطبع الكثير من اللهجات بطابعها ، ولقد أدّت فاعليتها إلى تقسيم القبائل العربية إلى شعبتين :الشعبة الأولى تؤثر الفتح والشعبة الثانية شاعت فيها الإمالة[12]؛ ولقد عزّز هذا الانقسامَ التعصّبُ القبلي والسياسي وعوامل الحسد التي جاشت في النفوس التي كان لها شأن في الجاهليّة وضاع فضلها في الإسلام[13]؛ ولعلّ الذي يؤكّد هذا الانتشار هو كثرة القبائل التي تستخدم الإمالة فأصحابها تميم وقيس وأسد وعامة نجد ، ولا يميل الحجازيون إلاّ في مواضع قليلة[14]. وأماّ **التداخل** في نطق الإمالة فليس له حدود ثابتة ولا يمكن تحديد أماكنه بدقّة . ولقد أشار سيبويه إلى وجود الإمالة في مختلف القبائل العربية ، وهو مع ذلك لم يضع لها حدوداً ثابتة وإنما أشار إلى **التداخل** في نطقها بين القبائل وحتى في القبيلة الواحدة[15]، ومن التداخل في القبيلة الواحدة قوله :" فإذا بلغت الأسماء أربعة أحرف أو جاوزت من بنات الواو فالإمالة مستتبة لأنها خرجت إلى الياء ، وجميع هذا لا يميله ناس كثير من بني تميم وغيرهم"[16]. إننا نفهم من كلام سيبويه أن كثيراً من الناس في بني تميم تميل في هذه الحالة ، بينما يوجد في نفس القبيلة ممن لا يميل ، فكيف نستطيع تحديّد خطوط هذا التداخل؟ وأما **الفاعلية** فنقصد بها قدرة الصوت اللغوي على الثبات والاستمرار والصمود في وجه المؤثرات التي تؤثّر قي اللغات ، والإمالة هي ظاهرة اتسمت بالثبات والاستمرار لأنها كانت موجودة في اللغة العربية في الجاهلية ، ثم في العصر الإسلامي ، وهي مستمرّة إلى يومنا هذا ، ولقد بلغت من الأهميّة الحد الذي اعتُبرت فيه إحدى القراءات القرآنيّة .

ولقد كان جلّ اهتمامنا منصبّاً على دراسة الإمالة باعتبارها صوتاً لغوياً ، وقبل ذلك تناولنا **مفهوم مصطلحي الصوت والحرف عند القدماء** ، وتبيّن لنا أن صفات الحروف تدلّ على صوتيّتها عند القدماء ؛ حيث اعتبروها أصواتاً ، وذلك لأن الصوت اللغوي يخرج من الجهاز النطقي . وقد قال الخليل: " في العربية تسعة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج ، وأربعة أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة ، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة ، وإنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلاّ الجوف "[17]؛ ومن المعروف أن المدارج ليست إلاّ أماكن نطق وخروج الأصوات التي اصطلح القدماء على تسميتها حروفاً . ولقد وصف القدماء الحروف بأنها مجهورة أو مهموسة وهذا الوصف

دلالة على صوتيتها ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قول سيبويه: " فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه ، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت . . . وأما المهموس فحرف أضعف الاعتملد في موضعه حتى جرى النفس معه"[18]. وأما مخارج الحروف فتدل على صوتيّها. فمخارج الحروف عند الخليل : حلقية ولهوية وأسلية ونطعيّة ولثوية وذلقية وشفويّة وهوائيّة ، والليث بن المظفّر يقول عن أستاذه الخليل : " وإنما كان ذوّاقة إيّاها ، أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو أبْ ، أتْ ، أحْ ، أع ، أغ ، . . . فوجد العين أدخل الحروف في الحلق . فجعلها أول الكتاب "[19]. وأما المخارج عند سيبويه فهي ستة عشر مخرجاً[20] . وسيبويه كالخليل يقصد بمحارج الحروف أماكن نطق الأصوات التي تخرج منها الأصوات الموصوفة بأنها مجهورة أو مهموسة ، وهذا دلالة على أن سيبويه يقصد بالحروف الأصوات اللغوية ، فخروج الحرف من الجهاز النطقي يبطل كونه مادّة مرئيّة أومكتوبة كما ظن بعض المحدثين[21].

وأما **الفصل الثاني** فقد تناولنا فيه الإمالة من مختلف جوانب الدرس اللغوي:

أ- **الجانب الصوتي** : تناولنا في هذا الجانب أسباب الإمالة ثمّ انتقلنا إلى موانعها وجوازاتها. فمن أسباب الإمالة :

أ-1- التماس الخفة : إن التماس الخفة يقابله عند المحدثين قانون( السهولة والتيسير) الذي يعني أن اللغات الإنسانية تميل في تطورها إلى التخلص من الأصوات العسيرة ، وتستبدل بها أصواتاً أخرى لا تتطلب مجهوداً كبيراً[22]، وهذا يتطابق مع قول سيبويه "وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقرّبوها منها كما قرّبوا في الإدغام الصاد من الزاي حيث قالوا صدر فجعلوها بين الزاي والصاد التماس الخفة "[23] . من هنا يمكن اعتبار سيبويه أول من اكتشف قانون(السهولة والتيسير) الذي يتجلّى في عدّة ظواهر هي الإدغام ، والمماثلة ، والقلب ، والتقريب ؛ وهذه الظواهر جميعها تنضوي تحت قانون الخفة العام الذي تتكرّر إشارات سيبويه له: " ألا تراهم يقولون معدِي ومنسيّ والقسي والعصي ، ولا تفعل هذا الواو بالياء فأمالوها لما ذكرت لك ، والياء **أخف** عليهم من الواو فنحو نحوها)[24] ، ويقول في موضع آخر: " فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تُستعلى وقرّبت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم ، كما أن الحرفين إذا تقارب موضعهما كان العمل من وجه واحد **أخف** عليهم فيدغمونه[25].

وابن جني لا يخرج عما جاء به سيبويه . فالإمالة عنده : " أن تنحو بالفتحة إلى الكسرة ، فتميل الألف نحو الياء **لضرب من تجانس الصوت**"[26] .

أ-2- القياس : القياس هو أحد قوانين التطور اللغوي ، وذلك لأنه يؤدي إلى التوليد وخلق صيغ جديدة قياساً على صيغ أخرى وسيبويه يرى أن القياس يُطبّق على الظواهر اللغوية كظاهرة الإمالة التي هي تقريب يعتمد على القياس والأمثلة كثيرة منها : " وسمعنا هؤلاء قالوا تباعدنا فأجروه على القياس ، وقول العامة ، وقالوا معزانا في قول من قال عماداً فأمالهما جميعاً ، وذا قياس ومن قال عماداً قال معزانا وهما مسلمان وذا قياس قول غيرهم من العرب "[27]. وسيبويه يفسّر القياس تفسيراً صوتيّاً:" فالألف تُمال إذا كان بعدها حرف مكسور وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقرّبوها منها كما قرّبوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر ، فجعلوها بين الزاي والصاد ، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة "[28].

أ-3- السماع : اعتمد العرب طريقة السماع في جمع اللغة وتدوينها . والسماع لا ينحصر في الجمع والتوثيق وإنما يمكن أن يعتمد على القياس كأن يسمع العربي القياس المبني على السماع فيقيس عليه ، وإلى ذلك أشار سيبويه:" وسمعنا هؤلاء قالوا تباعدنا فأجروه على القياس ، وقول العامة ، وقالوا معزانا في قول من قال عماداً فأمالهما جميعاً ، وذا قياس ومن قال عماداً قال معزانا ، وهما مسلمان ، وذا قياس قول غيرهم من العرب كان "[29].

وأما موانع الإمالة فهي :

-1أن يأتي حرف من حروف الاستعلاء بعد الألف " وكذلك إذا كان الحرف من هذه الحروف بعد الألف والألف تليها ، وذلك قولك ناقد وعاطس وعاصم"[30] ..

2-أن يأتي الحرف المستعلي بعد الألف بحرف " وكذلك إذا كانت بعد الألف بحرف وذلك قولك نافخ ونافع . . . "[31] .

3-أن يأتي الحرف المستعلي بعد الألف بحرفين : " وكذلك إذا كان شيء منها بعد الألف بحرفين وذلك قولك مناشيط ومنافيخ "[32] .

4-إذا جاءت الراء قبل الألف لا تمال الألف .

5-مجيء حرف مضموم أو مفتوح بعد أو قبل الألف " إذا كان ما بعد الألف مضموماً أو مفتوحاً لم تكن فيه إمالة "[33] .

6-العامّة لا يميلون ما كانت الواو فيه إلاّ ما كان منكسر الأول ليس غيره"[34] .

**ب- الجانب الصرفي :**

تناولنا في هذا الجانب: الإمالة والزيادة ، والإمالة والإلحاق ، والإمالة والقلب ، والأوزان التي تحتوي الألف الممالة عند القدماء وقسمنا هذه الأوزان إلى قسمين هما : الأوزان المذكورة في القواعد ، والأوزان المستخرجة من القواعد ؛ ولكن الأهم في هذا الجانب هو مواطن الإمالة في اللغة الفصيحة ، وقد مهدنا لذلك بالإجابة على التساؤلات التالية : هل الفصحى لهجة قريش؟، هل الفصحى وليدة صراع لغوي؟، والفصحى بين التطور والثبات .

الأوزان التي تحتوي إمالة عند القدماء :

أ- أوزان الأمثلة المذكورة :

أ-1- الأسماء :

1-(فاعل) : نحو عابد ،عالم ، 2-(مفاعل) : نحو مساجد، معالم، 3- (مفاعيل) : نحو مفاتيح .

يلاحظ أن الأوزان السابقة تتفق مع القاعدة العامة للإمالة: " تمال الألف إذا كان بعدها حرف مكسور نحو عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعُذافر وهابيل[35].

4-(فِعال) : نحو عماد ، 5-(فعلال) : نحو سربال ، 6-( فِعلي) : نحو مِعزِي ، 7-(فُعلي) : نحو حُبلي ، 8-(فعّال) : نحو كيّال وبيّاع.

أ-2- الأفعال :

صرّح القدماء أن الإمالة موجودة في الأفعال ، وأن الألف في الأفعال تمال كيف كانت[36] . فالإمالة في الأفعال مضطردة حتى ولو كانت فيها حروف الاستعلاء[37] .

أ-3- الحروف :

الحروف في الأصل لا تمال لبعدها في الاشتقاق[38] ؛ ويستثنى من ذلك الحروف التي تقوى بنفسها أو تقوم مقام الفعل. فمن التي تنوب مناب الفعل أداة النداء (يا) نحو(يا زيد) فأمالوا ، ويضاف إلى ذلك الأسماء الموغلة في شبه الحروف نحو" إذا ولدى وعلى وإيّا، وأمالوا متى وإذا حملاً على تصرّف الأسماء "[39]. وأما الحروف التي ليست أسماء فلا إمالة فيها"[40].

ب-الأوزان المشتقة من القواعد :

سنحاول استنتاج بعض الأوزان التي تتفق مع القواعد التي ذكرها القدماء نحو:

(أفاعل): نحو أكارم ، أقارب،

(أفاعيل):نحو أساليب،أباطيل

( فواعل): نحو قوارب، ضوارب

(فعائل) نحو:شعائر

(فعاليل): نحو بهاليل ، شحارير

( فعالل): نحو سلاهب ، دراهم .

( فعلاليل:نحو مغناطيس.

( تفاعيل):نحو تباريح.

( يفاعيل):نحو يرابيع، ينابيع،

(مفاعيل) نحو مواضيع .

تلك هي بعض الأوزان المتفقة مع القواعد العامة للإمالة ، ومع ذلك لم يذكر القدماء أمثلة عليها ، فهل يعني ذلك أن القدماء لم يميلوا الألف في الأوزان السابقة الذكر أم أنهم أمالوا الألف فيها. إننا نعتقد أن القدماء أمالوا الألف في الأوزان السابقة،ويعزّز اعتقادنا ما يلي:

1-شروط حدوث الإمالة متوفرة في الأوزان السابقة .

2-عندما وضع القدماء القاعدة العامة للإمالة لم يتتثنوا منها الأوزان السابقة ، ولو كانت هذه الأوزان متتثناة لكانوا قد أشاروا إليها .

3-القدماء أرادوا إثبات القاعدة ، ولهذا يكفيهم من الأمثلة الذي يثبت ما يذهبون إليه .

## مواطن الإمالة في اللغة الفصيحة :

1–التنوين : هو مصدر نوّن ، أي ألحق نوناً بالاسم[41]. وهو نون ثبتت لفظاً لا خطّاً[42] . والتنوين على اختلاف أنواعه (تنوين الكسر ، تنوين الضم ، تنوين الفتح ) ينتهي بنون ساكنة ؛ ولكن هذه النون بماذا تُسبق ؟ إننا نرى أنها تُسبق بإمالة نحو الكسر في تنوين الكسر، وتُسبق بإمالة نحو الضم في تنوين الضم ، وسنحاول بيان ذلك بالأمثلة التالية :

لدينا كلمة مثل( عَالِمٌ) منونة تنوين الضم، وسنحاول تفكيكها إلى أصواتها .

**المكونات:** صوت العين ، صوت الألف ، صوت اللام ، صوت الميم ، صوت الإمالة نحو الضّم (o ) صوت النون. وأمّا في تنوين الكسر في كلمة ( عالمٍ ) ، فالأصوات تبقى كما هي ولا يحدث تغيير إلاّ في صوت الإمالة حيث تتحول ( o ) إلى ( e )

وأمّا مواطن وجود الإمالة في التنوين فهي في كل اسم نوّن تنوين الكسر أو الضّم ولذلك يمكن أن نجد الإمالة في الاسم الثلاثي المجرّد ، والاسم الرباعي المجرد ، والاسم الخماسي المجرّد ، والاسم الثلاثي المزيد ، والاسم الرباعي المزيد ، والاسم الخماسي المزيد ، لأن كل أوزان الأسماء السابقة يمكن أن تنون ما لم تكن ممنوعة من التنوين ، كالأسماء الممنوعة من الصرف أو المنتهية بألف .

2–الأسماء الساكنة الآخر : ( إذا كان قبل ا الحرف الأخير ضمّة أو كسرة ) .

فَعُلْ : نحو ،( رجُلْ) ، فالضمة هنا ليست ضمّة خالصة وإنما هي ضمة ممالة

فَعِلْ : نحو ، ( نَمِرْ) ، فالكسرة هنا ليست كسرة خالصة وإنما هي كسرة ممالة .

فُعُلْ : نحو ، (عُنُقْ) ، فالضمة هنا ليست ضمّة خالصة وإنما هي ضمّة ممالة .

فِعِلْ : نحو ، (عِبِلْ) ، فالكسرة هنا ليست كسرة خالصة وإنما هي كسرة ممالة .

ويستوي فيما سبق الرباعي المجرد ، والخماسي المجرّد ، والثلاثي المزيد بحرف ، والثلاثي المزيد بحرفين ، والثلاثي المزيد بثلاثة أحرف .

3–الأفعال : إذا سكّن الحرف الأخير من الماضي وكان قبل الحرف الأخير كسرة ، فإن الكسرة تتحوّل إلى كسرة ممالة ، أمّا إذا كان قبل الحرف الأخير ضمّة فإن الضمة تتحول إلى ضمة ممالة .

المضارع : إذا كان الفعل المضارع مجزوماَ وكان ما قبل حرفه الأخير كسرة أو ضمّة ، فإن الكسرة تُمال نحو الفتحة نحو ( يفعُلْ ) ، يكتُب .

الأمر : جميع أوزان الأمر إذا كان ما قبل الحرف الأخير ضمة أو كسرة ، فإن الكسرة تتحول إلى إمالة نحو الكسر ، والضمة إمالة نحو الضم نحو :( اكتُبْ ).

ب– المستوى النحوي:

إذا سلّمنا بإمكانية الفصل بين مستويات الدرس اللغوي في اللغة العربية عند القدماء ؛ فإن دور النحوي ينحصر في نطاق الجملة ولا يتعدّاها إلى الجوانب الأخرى الصرفيّة والصوتية والدلالية، ولكن هذا لم يحدث عند قدمائنا؛ بل فهموا أن للغة وظيفة أخرى هي التعبير، ولذلك يقول ابن جني معرّفاً اللغة : " أمّا حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم )"[43]. فالعرب درسوا اللغة دراسة علميّة و فهموا أن لها وظيفة التواصل والتعبير، ومن هنا نُظر إلى العوامل من خلال تأثيراتها اللفظيّة والمعنوية. واللفظيّة والمعنوية تؤدّي إلى تغيّرات في المعنى،ولهذا لا يمكننا الفصل بين الجانب الصوتي والجانب النحوي، وذلك لأن الجملة التي هي موضوع بحث النحْوي مادّتها الخام الأصوات.

تأثير العوامل :

1-العوامل النحويّة :

تعد التغيّرات الإعرابية من التغيّرات الصوتيّة ، فتغيّر العامل يؤدي إلى تغيّر صوتي ، حيث هناك علاقة وثيقة بين النحْو والأصوات ، ولقد أشار ابن جني إلى تأثير العوامل النحويّة خلال حديثه عن القول والكلام فسمّى الجمل كلاماً ، وشرطها أن تكون مفيدة لمعناها " أمّا الكلام فكلّ لفظ مستقلّ بنفسه مفيد لمعناه ، وهذا الذي يسميه النحويون الجمل نحو زيدٌ أخوك ، وقام محمّدٌ . . . وفي الدّار أبوك . . . فعلى هذا يكون قولنا قام زيدٌ كلاماً ، فإذا قُلت شارطاً ، إن قام زيد فزدت عليه (إن) رُفِع بالزيادة إلى

النقصان فصار قولاً لا كلاماً "[44].إن الذي يتضح من كلام ابن جني أن ( إنْ ) التي هي عامل نحوي أدّت إلى تغيير في معنى الجملة حيث حدث نقص في المعنى وحدث نقص في اللفظ لأن هذه الجملة أصبحت ناقصة وبحاجة إلى كلام ليتممها ، ولتوضيح ذلك نأخذ مثالاً الجملة التالية: (يكتبُ الطّالبُ درسه) الملاحظ أن الفعل ( يكتُبُ ) ينتهي بضمّة ، وإذا ما أدخلنا على هذه الجملة عاملاً نحويّاً مثل ( لم ) فإن الجملة تصبح على الشكل التالي :( لم يكتُبِ الطّالبُ درسه). فالملاحظ أن العامل ( لم ) حوّل المعنى من الحال إلى الماضي ، كما أدى إلى تغيّر صوتي حيث قُلِبت الضّمة إلى كسرة ، وهذا تغيّر صوتي فرضه دخول العامل (لم) على الجملة .

العوامل الصوتية :

إننا سننطلق من التمثيل التالي لبيان تأثيرات العوامل الصوتيّة :

يكتبُ الطالبُ الدّرسَ ، لم يكتبْ الطالبُ الدّرسَ، لم يكتُبِ الطالبُ الدّرسَ .

نلاحظ أن الضمّة في الفعل ( يكتبُ ) تحوّلت إلى سكون في الجملة الثانية نتيجة دخول العامل النحوي (لم) ، كما نلاحظ أن السكون تحولت إلى كسرة في الجملة الثالثة .

فمن الواضح أن (لم ) الذي هو عامل نحوي أدّى إلى تغيّر صوتي بحيث فرض تغيير الضمّة إلى سكون . وكذلك التقاء الساكنين هو عامل صوتي أدى تغيّر صوتي حيث تحولت السكون إلى كسرة . ولعل التغير الأخير سببه جنوح اللغة نحو السهولة ، ولقد أشار سيبويه إلى أمثال هذه العوامل الصوتية بقوله : " واعلم أن قوماً من العرب يقولون : الكافرون ورأيت الكافرين والكافر وهي المنابر لمّا بعدت وصار بينها وبين الألف حرف لم تقو قوّة المستعلية لأنها من موضع اللام وقريبة من الياء ، ألا ترى أن الألثغ يجعلها ياء فلما كانت كذلك عملت الكسرة عملها إذا لم يكن بعدها راء "[45]، فالملاحظ من كلام سيبويه أن الكسرة عملت عملها أي أدت إلى تغيير صوتي وهو تحويل الألف إلى إمالة . فالحركات لها عمل وقوّة وقد تتناقص هذه القوة وتضعف عند وجود عوائق مانعة كالفاصل والبعد عن نقطة التأثير .

## أثر العوامل النحوية في ظاهرة الإمالة :

1)- عامل الجرّ: لقد أشار القدماء إلى أن العوامل النحوية تؤثر في الأصوات ومن هذه العوامل مثلاً عامل الجر ؛ حيث تتضح علاقة هذا العامل بالجانب الصوتي ونأخذ مثالاً ظاهرة الإمالة ، حيث تُمال الألف إذا وقعت في كلمة مجرورة بحرف جر" ومما يميلون ألفه قولهم مررتُ ببابه وأخذت من ماله، هذا في موضع الجر"[46] ، " ومن قال عماداً قال معزانا وهما ملمان وذا قياس قول غيرهم من العرب لأن قوله لمان بمنزلة عماد والنون بعده مكسورة فهذا أجدر فجملة هذا أن كل ما كانت الكسرة له ألزم كان أقوى في الإمالة "[47] ، وأشار الأزهري إلى كسرة الإعراب وعلاقتها بظاهرة الإمالة : " إلاّ أن الإمالة لكسرة البناء أقوى منها لكسرة الإعراب "[48] .

2- عامل النصب : وذلك قولك يريد أن (يضرِبها) ويريد أن ( ينزِعها ) ويفسّر ذلك سيبويه بأن الهاء التي تفصل بين الكسرة والألف خفيّة " والحرف الذي قبل الحرف الذي يليه مكسور فكأنه قال يريد أن يضرِبا "[49]. فهنا يتضح أن تأثير الكسرة أقوى من تأثير الهاء ولذلك فقد تعدّى تأثير الكسرة الهاء إلى الألف حتى كأن الهاء غير موجودة .

عامل الجزم : وهذا يتّضح في الإمالة القصيرة التي لم يشر إليها سيبويه ، ومثال على ذلك (يكتبُ) إذا سُبق بالحرف الجازم (لم) فإن الضمة تتحول إلى سكون ، وهذا التحول فرضه عامل الجزم(لم) ، كما أن الضمة التي بعد التاء تحولت إلى إمالة نحو الفتحة .

**الفصل الثالث:** (منهج القدماء في تناولهم لظاهرة الإمالة) :

يعرّف المنهج بأنه ضبط الوسائل التقنيّة ووضع قواعد دقيقة لها[50] ولم يبتعد قدماؤنا عن خطوات البحث التجريبي ، فقد اعتمدوا على الملاحظة والنظرية والتجربة والمثال والقاعدة.

**فالملاحظة الذاتية هي أولاً** : وذلك لأنه لا يمكن دراسة الظاهرة دون ملاحظتها وتحديدها ، ويتم ذلك بجميع المعطيات عنها وصولاً إلى وضع الأساس النظري لها. وإذا كان العَالِمُ لا يبدع شيئاً ، وإنما ينحصر فضله في الاكتشاف فكذلك الظواهر اللغويّة ليست من إبداع العالِم اللغوي ، وإنما بملاحظتهِ الدقيقة يكتشف الظاهرة ثم يعمد إلى وضع تصور لطبيعتها ويعقب ذلك وضعها في إطار قاعدة ثابتة . .ولهذا فإننا سنقسّم منهج القدماء إلى ثلاثة جوانب هي : الجانب النظري والجانب المادي والجانب التعليلي .

**1- الجانب النظريّ:** يمكن اعتبار القاعدة هي الجانب النظري عند القدماء ، ومهما يكن من أمر فالقاعدة في الغالب مقدّمة على الأمثلة والتعليل ، ونستدل على ذلك من الأمثلة التالية " فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك نحو قولك عابد وعالم ومساجد"[51]، " معنى الإمالة هو أن تنحو بالفتحة إلى الكسرة"[52]،"ومما يميلون ألفة كل شيء من ثبات الياء والواو وكانت عينه مفتوحة"[53] . فالكلام السابق هو قواعد نظرية تحتاج إلى تعليل ، وهذا ما فعله قدماؤنا حيث نرى سيبويه يردف القاعدة بالأمثلة التي هي المادة العملية للظاهرة ، وذلك لأن ( عابد ، وعالم ، ومساجد ) هي المادة التي تحوي الظاهرة . والقاعدة الثانية تُفسَّر ( لضرب من تجانس الصوت)، فهذا الكلام هو تعليل للظاهرة وتفسير لأسباب حدوثها . من هذا يتبين لنا أن الجانب النظري مطروح أولاً ثم يأتي بعده المثال والتعليل والتفسير بغية الوصول إلى القانون الذي ينظم الظاهرة . فابن جني يقول:"معنى الإمالة هو أن تنحو بالفتحة إلى الكسرة فتمثل الألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت و ذلك في قولك عالم و في سالم"[54].الواضح أن القاعدة أولاَ ثم المثال فالتعليل .

**2-الجانب المادّي:**

إننا نقصد بالجانب المادي تلك المادّة اللغويّة التي جمعها العلماء العرب والتي ستكون مادّة البحث والتحليل والأساس الذي تبنى عليه القواعد ، وذلك لأننا لا يمكن أن نثبت قاعدة لا تستند إلى أساس مادي ، ولذا فالملاحظ أن كل قاعدةُ تردف بعدد من الأمثلة المستقاة من المحيط اللغوي الذي تُجري فيه الدّراسة . يقول سيبويه : ( فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعُذافر وهابيل)[55] فالكلمات التالية : ( عابد ، وعالم ، ومساجد ، و مفاتيح ، وعّذافر وهابيل) هي أمثلة تحوي ألفاً ممالة ، وهي مستند العلماء على وجود الإمالة ، أضف إلى ذلك أنها وإن كانت أمثلة قليلة فقد جاءت القاعدة لتعمم وجود الإمالة في كل كلمة تصاغ على وزن من أوزان الأمثلة السابقة، فالقاعدة تقول : (تمال الألف إذا كان بعدها حرف مكسور) فهذا الكلام يدل على أن الإمالة ليست موجودة فقط في الكلمات السابقة وإنما في كل كلمة تحوي ألفاً قبلها حرف مكسور. فالقاعدة تُردف بأمثلة هي في الحقيقة الجانب المادي الذي بنيت على أساسه النظريّة أو القاعدة ، ومن هذه الأمثلة: قاعد وغالب وخامد وصاعد وطائف ومنا من ظالم . وقول ابن جني " معنى الإمالة هو أن تنحو بالفتحة إلى الكسرة ، فتميل الألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت ، وذلك في عالم ! عالِم وفي سالم سالِم وفي جالس جالِس"[56] فمن الملاحظة أن المثال يعقب القاعدة وهو وسيلة للإيضاح فلا يمكن تعليل أسباب القاعدة بدون مثال عملي محسوس... ويقول ابن جني في معرض حديثه عن أسباب الإمالة"الألف المنقلبة عن الياء نحو قولك في سعى ! سعِى وفي يرعى ! يرعِى وفي يشقى ! يشقِى"[57] . فمن الواضح أن المثال يُستخدم كمادّة عمليّة تصلح لأن تبنى على أساسها القواعد.

**3- الجانب التّعليلي:**

المقصود بالتعليل إيجاد علّه الظاهرة ؛ أي تفسيرها بطريقة علمية بغية إيجاد الأسباب التي أدت إلى تشكلها ، وقد يستنتج الباحث أسباب حدوث الظاهرة بجهده الشخصي، وقد يعتمد على سماع التعليل من غيره ، وقد يستخدم القياس في التعليل ولذا فإننا سنقسّم التعليل إلى ثلاثة أقسام هي : التعليل الذاتي والتعليل السماعي والتعليل القياسي .

**3-1-التعليل الذاتي :**

رأينا سابقاً أن القدماء قدّموا القاعدة على المثال ، ولكن المثال لا يمكن أن يشكل قاعدة ، ولذا لابد من دراسته وإيجاد تفسيرات له. " فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور"[58]،هذه قاعدة تحتاج إلى تفسير وتعليل ، وقد عللها سيبويه بقوله: "إنّما أما لوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقرّبوها منها كما قرّبوا في الإدغام الصاد من الزاي"[59]. فسيبويه يستنتج التعليل بمفرده وبجهده الذاتي ، ولكن مهما يكن تعليله فهو سيعبر عن الظاهرة الاجتماعيّة ، وذلك لأن التعليل سيتناسب مع عموميّة الظاهرة ، ولا بد أن يكون عامّاً مثلها .. ويقول ابن جني في ذكر الفرق بين العلّة الموجبة والعلة المجوّزة "اعلم أن أكثر العلل عندنا مبناها على الإيجاب بها... وضرب آخر يسمى علّة ، وإنمّا هو في الحقيقة سبب يجوز ولا يجوز ولا يوجب من ذلك الأسباب الستّة الدّاعيَة إلى الإمالة هي علة الجواز لا علّة الوجوب ألا ترى أنّه ليس في الدنيا أمر يوجب الإمالة لابدّ منها ، وأن لكل ممال لعلة من تلك الأسباب الستة لك أن تترك إمالته مع وجودها فيه فهذه إذاً علّة الجواز لا علّة الوجوب"[60].

فمن الواضح أن ابن جني يقصد بالعلل الأسباب الموجبة للإمالة ، وهو في مكان آخر من (اللّمع) يوضع ويعلل أسباب الإمالة في المواضع الستّة السابقة الذكر ، يقول (سيبويه) "والأسباب التي تجوز لها الإمالة ستة وهي الكسرة والياء وأن تكون الألف منقلبة عن الياء أو بمنزلة المنقلبة عن الياء ، وهي الكسرة والياء ، وأن تكون الألف منقلبة عن الياء أو بمنزلة المنقلبة عن الياء أو لأن الحرف الذي قبل قد ينكسر على حال أو إمالة لإمالة"[61]. ، وهو يفسّر الأسباب بقوله (لضرب من تجانس الصوت)[62].

**3-2- التعليل السّماعي :**

نقصد (بالتعليل السماعي) السماع باعتباره طريقة من الطرق المعتمدة في تفسير الظواهر اللغوية كظاهرة الإمالة ، والسماع هو من أهم الوسائل المتبعة في الدراسات اللغويّة ؛ ولقد اعتمد سيبويه على (السماع) في جمع مادته اللغويّة تمهيداً لدراستها ، كما أنّه اعتمد على السماع في تفسير تلك المادّة ومن أمثلة ذلك قوله "سمعنا بعضهم يقول طُلِبْنَا وطَلَبَنَا زيدٌ ، كأنّه شبّه هذه الألف بألف حُبْلَى حيث كانت آخر الكلام ، ولم تكن بدلاً من ياء ، وقال رأيت عبداً ورأيت عنباً وسمعنا هؤلاء قالوا تباعد هنّا فأجروه على القياس"[63] . فمن الواضح أن سيبويه ينقل ما قام به الناس في إمالتهم (لطُلِبْنَا وطَلَبَنَا)، فهم قد شبهوا هذه الألف بألف حُبلى (أي قاسوا عليها) وهذا كله سماع لأن سيبويه يصرح بالسماع بقوله "سمعنا بعضهم.." وكذلك قوله "سمعنا هؤلاء قالوا تباعد عنا فأجروه على القياس" فسيبويه يصرح بأنه سمع قولهم (تباعد) الذي أجري على القياس ، فهو يفسّر ويعلل اعتماداً على السّماع .

وقد يقاس على السماع ، وذلك لأن السّماع هو الأصل الذي يجرى عليه القياس "وسمعناهم يقولون من أهل عاد فأمّا في موضوع الرّفع والنصب فلا تكون كما لا تكون في آجرّ وتابل ، وقالوا رأيت زيداً فأمالوا كما فعلوا ذلك بغيلان"[64]، فمن الواضح أن سيبويه يعتمد على السّماع ثم يقيس على هذا السماع .

**3-3- التعليل القياسي :**

القياس من الطرق التي اتبعت في تفسير الظواهر النحوية و الصرفية و الصوتية .

لقد اعتمد القدماء على القياس في تعليل قواعدهم ، وهذا واضح عند سيبويه " وقالوا معزانا في قول من قال عماداً فأمالهما جميعاً ، وذا قياس ، ومن قال عماداً قال معزان وهما مسلمان وذا قياس ، قول غيرهم من العرب"[65]،فعناصر القياس متوفرة في قول سيبويه حيث يوجد المقيس والمقيس عليه ، ويبدو أن القياس هنا هو قياس يسمى "حمل نظير على نظير"[66]، فالمقيس عليه (عماداً)

والمقيس (معزانا) ويفسّر سيبويه هذا القياس بقوله :"لأنّ قوله لمانِ بمنزلة عماد ، والنون بعده مكسورة فهذا أجدر فجملة هذا أن كل ما كانت له الكسرة ألزم كانت أقوى في الإمالة"[67] فالذي سبق هو قياس مصرّح به ومذكور.

## النتائج والمناقشة :

**1-الإمالة ظاهرة لغويّة :**

يمكن القول بأن ( الظاهرة ) خروج عن مألوف ، أو تغيير في نظام معتاد ؛ و(الإمالة ) نُعِتَت بالجنوح والخروج ، فخالفت بذلك العرف اللغوي السّائد ، وشكّلت (ظاهرة) لغويّة اتّسمت بالانتشار والتداخل . ولا شكّ في أنّ ( الإمالة ) منتشرة انتشاراً واسعاً في مختلف البيئات اللّغويّة العربيّة القديمة والمعاصرة ، وهي إضافة إلى ذلك (ظاهرة ) مؤثّرة وفاعلة ؛ قُسّمت على أساسها القبائل العربيّة إلى شعبتين :

الشعبة الأولى تؤثر الفتح ، والشعبة الثانية تؤثر ( الإمالة )[68] . ولعلّ الذي يؤكد انتشار ( الإمالة ) هو كثرة القبائل التي تستخدمها ، فأصحابها تميم وقيس وأسد وعامّة نجد ، ولا يميل الحجازيّون إلاّ في مواضع قليلة[69] 0 ولقد أفرد (سيبويه) للإمالة عدّة أبواب ، وتحدّث عنها عند مختلف القبائل العربيّة ؛ وذلك رغم صعوبة إيجاد حدود ثابتة لمواضعها ، كون التداخل يحدث ضمن القبيلة الواحدة ، ويتّضح ذلك بقوله ( فإذا بلغت الأسماء أ ربعة أحرف أو جاوزت من بنات الواو ؛ فالإمالة مستتبّة ، لأنّها خرجت إلى الياء ، وجميع هذا لا يميته ناس كثير من بني تميم وغيرهم )[70] . إننا نفهم من كلام ( سيبويه ) أنّ كثيراً من النّاس في تميم تميل في هذه الحالة ، والكثرة الباقية لا تميل ؛ فكيف نستطيع تحديد التداخل بين القبائل إذا كان يحدث في قبيلة واحدة .

**2-الإمالة من أصوات اللغة :**

القدماء لم يذكروا أن (الإمالة) من أصوات اللّغة ؛ لكنّنا إذا تتبعنا كلامهم عنها نستنتج أنها مادة صوتيّة ، ويتضح ذلك من قول ابن جني " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف و الكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو [71] ؛ كما يقول في موضع آخر"أما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث وهي الفتحة والضمة والكسرة ، ومحصولها على الحقيقة ست وذلك أن بين كل حركتين حركة " [72] ، فابن جني يصرح بأن الحركات من جنس الحروف ، والحركات ست ، و (الإمالة) هي واحدة من الحركات الست ، وإذا كان الأمر كذلك فهي صوت لأنها بعض الحرف والحرف صوت ؛ فبعض الشيء من جنس الشيء .

**3-الهدف من الإمالة الخفّة:**

إنّ ( التماس الخفة ) يقابله عند المحدثين قانون( السّهولة والتيسر ) الذي يعني أنّ اللغات الإنسانيّة تميل في تطوّرها إلى التخلّص من الأصوات العسيرة في النطق ، وتستبدل بها أصواتاً أخرى لا تتطلّب مجهوداً عضليّاً كبيراً [73] ، وهذا يتطابق مع ما جاء به(سيبويه ) : ( وإنّما أمالوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقرّبوها منها كما قرّبوا في الإدغام الصاد من الزاي حيث قالوا صدر ، فجعلوها بين الزاي والصاد التماس الخفّة)[74] .

**4-( الإمالة ) تقريب صوت من صوت :**

لقد صرّح ( سيبويه ) بأنّ الهدف من الإمالة ( التقريب ) كقوله : ( وإنّما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقرّبوها منها كما قرّبوا في الإدغام الصاد من الزاي )[75] ؛ فمن الواضح أنّ ( التقريب ) من دواعي وجود ( الإمالة ) ؛ ولقد رأينا أنّ التقريب نوعان

**أ – تقريب في المكان** : وهذا النوع من التقريب نجده في الكلمة الواحدة ؛ فمثلاّ كلمة (كَتَبَ) صوت الكاف فيها مجاور لصوت التاء وهو أ قرب إلى التاء من الباء ، وصوت التاء مجاور لصوتي الكاف والباء ؛ فنحن في هذه الحالة ننظر إلى الحرف بحسب موقعه في الكلمة من حيث المكان الذي يشغله ، وهذا ما اصطلحنا على تسميته بالقرب المكاني .

**ب – تقريب في الصفات** :إننا في هذه الحالة لا ننظر إلى موضع الصّوت وقربه من الصوت الآخر، وإنّما ننظر إلى الصفات المشتركة والقرب من حيث المخارج ؛ فمثلاّ كلمة (زَرَعَ) صوت الزّاي فيها أقرب في صفاته إلى صوت الراء من صوت العين .

وإننا من خلال ما تقدّم لا نرى أنّ ( سيبويه ) يقصد بالتقريب المزج بين الأصوات ؛ وإنّما يقصد التقريب في المخرج والصفات

**5– العوامل النحوية تؤثر في الأصوات :**

لقد اعتمد كلّ من الخليل وسيبويه على فكرة العوامل في معالجة مختلف القضايا النحوية ، وهذا طبيعي طالما أن اللغة العربية لغة معربة تتغير العلامات الإعرابية فيها بتغيّر العوامل ؛ وليست التغيرات الإعرابيّة إلاّ تغيّرات صوتية ، فتغيّر العامل يؤدي إلى تغيّر صوتي ، وذلك لأنّ العلاقة وثيقة بين النحو والأصوات .

ولقد أشار ابن جني إلى تأثير العوامل النحوية خلال حديثه عن القول والكلام ؛ فسمى الجمل كلاماً ، وشرطها أن تكون مفيدة لمعناها " أما الكلام فكلّ لفظ مستقلّ بنفسه مفيد لمعناه ، وهذا الذي يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك ، وقام محمّد ... وفي الدّار أبوك ... فعلى هذا يكون قولنا قام زيد كلاماً ، فإذا قلت شارطاً : إن قام زيد ، فزدت عليه إن رجع بالزيادة إلى النقصان فصار قولا لا كلاماً "[76]. فالذي يتضح من كلام ابن جنّي أن ( إنّ ) التي هي عامل نحوي أدّت إلى تغيير في معنى الجملة حيث حدث نقص في المعنى ، وحدث نقص في اللفظ ؛ لأن الجملة أ صبحت ناقصة وبحاجة إلى كلام ليتممها .

**6– للإمالة وجود في اللغة الفصيحة :**

لاشك في أننا سنلاقي معارضة فيما سنذهب إليه في بادئ الأمر ؛ وذلك لأنّ العرب اعتبرت لهجة قريش هي اللغة الفصيحة التي تخلو من الشوائب والعيوب النطقية [77] ؛ وإننا إذا سلّمنا باعتبار لهجة قريش هي اللغة الفصيحة ؛ فإنّ( الإمالة ) لم تدخل ضمن قائمة العيوب النطقية ؛ وإنّما اعتبِرت لغة ، واللغات على اختلافها كلّها حجّة [78] ، لأن لغة العرب يحتجّ بها فيما اختلف فيه[79] ؛ ونظراً لكون الإمالة ليست عيباً نطقيّاً ، إضافة إلى أنّها لغة يقرأ بها القرآن الكريم ويحتجّ بها ويقاس عليها فإننا سنحاول رصد وجودها في اللغة الفصيحة المعاصرة التي يرى المحدثون أنّها هي الفصحى القرشية التي تناقلناها جيلاً بعد جيل دون أن يعتريها التغيير كونها تمّ تقييدها بكلمة( فصحى ) [80] . وإننا إذا تأمّلنا لغتنا الفصيحة المعاصرة نراها تحفل بصوت (الإمالة ) ؛ ويتضح ذلك في الأسماء المنوّنة تنوين الكسر أو الضّم ، وفي المشتقات وبعض الأحرف ولأدوات .

**7– السماع والقياس من مصادر الإمالة :**

القاعدة ليست من ابتكار الباحث ؛ وإنما هي مستخرجة من المحيط اللغوي الذي تجرى فيه الدراسة ، ومن هذا المنطلق كان لا بدّ لنا من تركيز البحث على المادة اللغوية التي اعتمدها القدماء لإثبات قواعدهم التي هي إما مستنتجة من السماع ، أو نتيجة قياس على قضية مماثلة ، من هنا فإننا اعتبرنا السماع والقياس أهمّ عنصرين اعتمد عليهما القدماء في استخلاص قواعدهم.

**8– البعد في الاشتقاق من موانع (الإمالة)**

إن اعتبار القدماء البعد في الاشتقاق من موانع( الإمالة ) يدلّ على فهمهم الدقيق لقوانين التطور اللغوي ، وذلك لأن الكلمات نادرة الاستخدام ؛ نصيبها من التطور أقلّ من الكلمات المستخدمة بكثرة ؛ فمن الحقائق المقرّرة أن كثرة الاستعمال تبلي الألفاظ وتجعلها

عرضة لقصّ أطرافها ، وهذا بحدّ ذاته تغيير هدفه الاختصار وتقليل الجهد في النطق [81] ، وطالما أنّ (الإمالة) ناتجة عن الجنوح نحو (الخفّة) ، فوجودها لا يكون في كلمات غير مستعملة أو نادرة الاستخدام .

**9- الأوزان الصرفية التي تحتوي إمالة :**

إنّ الوزن الصرفي لكلمة ما لا بدّ وأن يتطابق مع هذه الكلمة بصوامتها وصوائتها والظواهر التي تعتريها ، وهذا ما حاولنا إثباته من خلال أوزان ذكرها القدماء وأوزان أخرى استنتجناها من القواعد، ولقد رأينا أنّ( الإمالة ) في تنوين الاسم يقابلها إمالة في تنوين وزن هذا الاسم .

**10- اعتماد القدماء على عدّة مناهج في البحث :**

لقد اعتمد القدماء في دراسة ظاهرة (الإمالة) على ، منهجي الوصف والتحليل اللذين تمّ المزج بينهما ، وذلك من خلال وصف الظاهرة ومن ثمّ تحليل أسبابها بغية الخروج باستنتاجات تمّ على أساسها إثبات قواعد اللغة ؛ ويضاف إلى ذلك المنهج النقدي الذي تجلّى من خلال وصف ظاهرة (الإمالة) بالاستحسان والقبح والشذوذ في بعض المواضع .

وإننا في نهاية هذا العرض ننوه إلى أنّ موضوع (الإمالة) من الموضوعات التي لاقت الإهمال عند المحدثين ، وذلك بسبب الاعتقاد الخاطئ الذي يرى أنّها لا توجد إلاّ في اللهجات المحليّة ، ومن هذا المنطلق نظر إليها البعض نظرة استهجان اعتقاداً بأنّ دراستها ستكون على حساب الفصحى ، ولهذا فإننا في هذا البحث سنتناولها في اللغة الفصيحة التي نهدف إلى تقديم خدمة لها ، وذلك من خلال رصد ظواهرها رصداً دقيقاً ؛ ليتسنّى لنا الحكم على هذه الظواهر والتمسّك بها إن كانت مفيدة والتخلّص منها إن كانت ضارّة 0 وإننا بما تقدّم لا ندّعي أننا وفينا الإمالة حقّها لأنّ ذلك يحتاج إلى بحوث متعددة ودراسات كثيرة افتقرت إليها ظاهرة (الإمالة ) وحسبنا أننا عالجنا بعض الجوانب وأشرنا إلى بعضها الآخر تمهيداً لدراستها في بحوث مستقبليّة قادمة .

# الهوامش

1- ينظر في فقه اللغة في الكتب العربية ، د. عبده الراجحي ، ص144 .
2- ينظر في الخصائص ، ابن جني ، 1|33 .
3- ينظر في الكتاب ، سيبوية ، 1|310 .
4- ينظر في لسان العرب ، ابن منظور ، 14|446 ، الصحاح،الجوهري 2|526، القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، 4|54 ، شرح التصريح على التوضيح ، 2|446 ،
الكليّات ، لكفوي ، 4|286 .
5- لسان العرب ، ابن منظور ، 8|123 .
6- لسان العرب ، 14|337.
7-شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري ، 2|446 .
8- ينظر في الكتاب ، سيبويه ، 2|310 .
9- ، ينظر في المعجم الوسيط , 2|901.
10- لسان العرب ،14|636 ، تاج العروس ، 8|123 .
11- في الخصائص ، ابن جني ، 3|120 .
12- ينظر في في اللهجات العربية ، د0 إبراهيم أنيس ، ص 50 ، في اللهجات العربية ، د. ابراهيم السامرائي ، ص38 ، شرح التصريح ، ص347 ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، 2|204 .
13- تاريخ آداب اللغة العربية ، جورج زيدان ، 1|208 .

14- ينظر في المفصل ، الزمخشري ، 9|54 ، النشر في القراءات العشر .

15- الكتاب ، سيبويه ، 1|311..

16- الكتاب، سيبويه ، 1|312.

17- العين ، 1|57 .

18- الكتاب ، 2|405 .

19- العين ، 1|47 .

20- الكتاب 2|405 .

21- ينظر في المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، ص38 ، دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح ، ص103 ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، د. تمام حسان ، ص130 ، فقه اللغة في الكتب العربية ، د0 عبده الراجحي، ص60، الأصوات اللغوية ، د0 إبراهيم أنيس ، ص111.

22- ينظر في الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، ص234 ، وينظر في اللغة والتطور ، د0 عبد الرحمن أيوب ، ص32 واللغة بين المعيارية والوصفية ، د0 تمام حسان ، ص 45-47، التطور اللغوي ، د0 رمضان عبد التواب، ص47.

23- الكتاب ، سيبويه : 1|310 .

24- الكتاب ، سيبويه : 1|310.

25- الكتاب ، سيبويه : 1|317.

26- اللمع في العربية ، ابن جني ، ص156.

27- الكتاب ، 1|316.

28- الكتاب ، 1|316.

29- الكتاب ، 1|317.

30- الكتاب ، 1|217.

31- الكتاب ، 1|317.

32- الكتاب ، 1|317.

33- الكتاب ، 1|312.

34- الكتاب، 1|310.

35- الكتاب ، 1|313.

36- ينظر في المفصل في علم اللغة العربية ، ص336.

37- ينظر في اللمع في العربية ، ص15، والمفصل في علم اللغة العربية، ص337.

38- اللمع ، ص159.

39 -اللمع في العربية ، ص159.

40- المقتضب ، المبرّد ، 3|52.

41- لسان العرب ، مادة نون الاسم.

42-همع الهوامع،السيوطي، 2|79 ، ظاهرة التنوين في اللغة العربية،د.عوض جهاوي ، ص28 .

43- الخصائص ، ابن جني ، 1|33 .

44-الخصائص ، 1|19 .

45- الكتاب ، 1|322 .

46- الكتاب ، 1|313.

47-الكتاب ، 1|316 .

48- المقرب ، ابن عصفور ، ص321 .

49-الكتاب ، 1|318.

50- جان ستاروبنسكي ،ص8.

51-الكتاب ، 1|310 .

52- اللمع في العربية ، 156 .

53- الكتاب ، 1|312 .

54- اللمع في العربية ، 156 .

55- الكتاب ، 1|310 .

56- اللمع في العربية ، 156 .

57- اللمع في العربية ، 156 .

58- الكتاب ، 1|310 .

59- الكتاب ، 1|311 .

60- الخصائص ، 1|64 .

61- اللمع ، 157 .

62- اللمع ، 157.

63- الكتاب ، 1|316 .

64- الكتاب ، 1|313 .

65- الكتاب ، 1|316 .

66-الاقتراح ، 42-44 ، شرح التصريح ، 1|42 .

67- الكتاب ، 1|316 .

68-في اللهجات العربية ، ص50 .

69- شرح التصريح ، ص347 .

70-الكتاب ، 1|312 .

71- سر صناعة الإعراب ، 1|19 .

72- سر صناعة الإعراب ، 1| 120 .

73-الأصوات اللغوية ، ص243 ، اللغة والتطور ، د. عبد الرحمن أيوب ، ص32 .

74- الكتاب ، 1|310 .

75- الكتاب ، 1|310 .

76- الخصائص 1:|17 .

77- المزهر ، 1|128 .

78- الخصائص : 2|10 .

79- المزهر : 1|258 .

80- دراسات في فقه اللغة ، د. مسعود بوبو ، ص285 .

81- التطور اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، ص95 .

# المراجع :

.....


1- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، دار الطباعة الحديثة ، الناشر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5 ، 1979م.

2- إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية، القاهرة ، ط4 ، 1973م .

3- ابراهيم السامرائي ، في اللهجات العربية دار الجداثة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1994م .

4- ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر، نشر أحمد محمد أحمد دهمان ، دمشق ، 1345هـ .

5- ابن جني الخصائص، تح،محمد علي النجار،دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان بدون تاريخ .

6- ابن جني ، سر صناعة الإعراب، تح ، مصطفى السّقا ، ابراهيم مصطفى ، محمد الزقزاق،عبد الله أمين ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط1 ، 1374هـ - 1954م.

7- ابن جني ، اللمع في العربية ، تح ، د. سميح أومغلي ، عمان ، دار مجدلاوي للنشر ، 1988م .

8- ابن عصفور ، المقرب ، تح ، أحمد عبد الستار الجواري ، عبد الله الجبوري ، ط1 ، 1971م .

9- ابن منظور، لسان العرب ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، بدون تاريخ .

10-الأزهري شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ .

11-. تمام حسان اللغة بين المعيارية والوصفية ، القاهرة ، 1958 .

12- جان ستاروبنسكي ، النقد والأدب ، ترجمة ، د. بدر الدين القاسم ، مراجعة أنطون المقدسي ، منشورات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1976م .

13- الجوهري ، الصحاح ، تقديم الشيخ عبداله العلايلي ، إعداد وتصنيف ، نديم ، مرعشلي ، أسامة مرعشلي ، دار الحضارة العربية ، بدون تاريخ .

14- الخليل ، العين ، تح ، مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ن لبنان ، 1408هـ - 1988م .

15- رمضان عبد المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1985م .

16- رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلله ، د. رمضان عبد التواب ، الناشر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الرفاعي ، الرياض ، 1404هـ - 1983م .

17- الزمخشري ، المفصل ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، ب-ت.

18- الكتاب ، سيبوية ، تح ، عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

19- .السيوطي همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تح ، عبد السلام هارون ، د. عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، بيروت ، 1975م .

20- السيوطي ، الاقتراح ، الناشر ، دار المعارف ، سورية ن حلب ، بدون تاريخ .

21- السيوطي المزهر ،عناية ، محمد جاد المولى ، محمد علي البجاوي ، محمد أ[و الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، 1955م .

22-صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة،مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية،مطابع الروضة النموذجية، حمص ، 1988م.

23- د0 عبد الرحمن أيوب ، اللغة والتطور ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية بالقاهرة ، 1969م .

24- عبده الراجحي فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت

25-عوض المرسي جهاوي ، ظاهرة التنوين في اللغة العربية، الناشر ، مكتبة الخانجي ، 1979م .

القاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ، ط1 ، 1403هـ - 1982م.

26- الفيروز أبادي القاموس المحيط ، مكتبة النوري ، دمشق ، بدون تاريخ .

27- الكفوي الكليّات، تح ، د. عدنان درويش ، محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1983م

28- مسعود بوبو، دراسات في فقه اللغة ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، مطبعة ابن حيّان ، دمشق ، 1403هـ - 1404هـ 1983م - 1984م.

29- المبرّد، المقتضب ، تح ،د. محمد عبد الخالق عضيمة ، طبع المجلس الأعلى الإسلامي ، 1385هـ .